

الحلقة الثالثة والثمانون

سفر الأمثال

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. كنا بدأنا قبل فترة بدراسة سفر الأمثال للملك سليمان. وعلمنا أن هدف سفر الأمثال هو تقديم نصائح عملية على شكل أمثال تحمل حقائق أخلاقية، وذلك لكي تتعلم الناس كيف يحيون حياة نقيّة وصادقة.

بدأنا قبل عدة لقاءات بالحديث عن الأمثال التي كتبها أجور ابن متقيّة مسّا. وفي لقائنا السابق تكلم أجور عن أربعة أشياء عجيبية لا يعرفها. وهي طريق النسر، والحية، والسفينة، وطريق رجل بفتاة، وطريق المرأة الزانية. وهذا كله يشير إلى خطورة إخفاء أعمالنا الشريرة، لاسيّما أن الله يعرفها جميعاً.

هل تعلم مستمعي أن الحكمة هي أئمن من المال الوفير؟ فهل تراك تتحلّى بالحكمة؟ وهل تعلم كيف بإمكانك أن تصبح حكيماً؟ تحدّث أجور الحكيم عن أربع حشرات صغيرة، لكنها في نفس الوقت حكيمة جداً. وكأنه يدعونا للتمثّل بها، فكتب قائلاً: "أربعة هي الأصغر في الأرض ولكنها حكيمة جداً. النمل طائفة غير قوية ولكنه يعدّ طعامه في الصيف. الوبار طائفة ضعيفة ولكنها تضع بيوتها في الصخر. الجراد ليس له ملك ولكنه يخرج كلّه فرقاً فرقاً. العنكبوت تمسك بيديها وهي في قصور الملوك." (أمثال ٣٠: ٢٤-٢٨)

إن النمل مشهور في حكمته، لأنه يعدّ طعامه في الصيف لوقت الشتاء، عندما تهطل الأمطار وتتساقط الثلوج وتعصف الرياح، ولا يعود بإمكانه أن يجمع الطعام. وكان سليمان الحكيم قد كتب عن النمل، داعياً الكسلان لكي يتعلّم من حكمته. فكتب قائلاً: "أذهب إلى النملة أيها الكسلان. تأمل طرقها وكن حكيماً. التي ليس لها قائد أو عريف أو متسلّط، وتعدّ في الصيف طعامها وتجمع في الحصاد إكلها. إلى متى تنام أيها الكسلان. متى تنهض من نومك. قليل نوم بعد قليل نعاسٍ وطيء اليدين قليلاً للرقود. فيأتي فقرك كساعٍ وعوزك كغازٍ." (أمثال ٦: ٦-١١) فهل ترانا نتعلّم جميعاً وليس الكسلان فقط من حكمة النمل؟ فنكون حكماء في وقتنا وفي الاستفادة منه؟ فالطالب الذي يهمل دروسه حتى ما قبل يوم الإمتحان، لن يكون بمقدوره أن ينجح. وكذلك الموظف والعامل اللذان يتقاعسان في عملهما، لن ينجزا في النهاية العمل المطلوب منهما.

نأتي الآن إلى الجراد، الذي بالرغم من ضرره الكبير على المزروعات، لكن نتعلم منه درساً ثميناً ألا وهو درس العمل الجماعي المنظم. فهو كما قال أجور الحكيم: "الجراد ليس له ملك ولكنه يخرج فرقاً فرقاً". وكذلك العنكبوت تمسك بيديها دلالة على الإتحاد في العمل فيما بينها. أي أن الجراد ينظم نفسه في فرق تعمل معاً، والعنكبوت يتحد فيما بينه للعمل. وهذا يشير إلى أهمية أن يعمل الإنسان مع أخيه الإنسان لتحقيق أي هدف معين. وكما يقول المثل العربي: إن يداً واحدة لا تصفق. فيجب أن يكون هناك تعاون بين أفراد المجتمع للوصول إلى الغايات المنشودة.

والحقيقة أنه لا ينجح أي عمل إذا لم يكن هناك اتفاق وتعاون بين الجميع. وهذا نراه بشكل واضح عندما تحصل الكوارث الطبيعية، إذ نجد الجميع يتعاونون لمواجهة الكارثة ونتائجها. لكن هذا الذي يجب أن يحصل في كل الأحوال لكي ينمو المجتمع ويبنى، إذ لا أحد يقدر على القيام بأي عمل لوحده. وكذلك على أفراد العائلة أن يتعاونوا معاً لكي يستطيعوا أن ينهضوا بها وتتقدم. صحيح أن الله خلقنا كأفراد لكنه أرادنا أن نعمل معاً كعائلات ومجتمعات. فهل ترانا نتعلم من الجراد والعنكبوت أهمية أن ننظم نفوسنا ونتعاون مع بعضنا البعض؟ لقد دعا المخلص المسيح المؤمنين به لكي يكونوا واحداً، ويتعاونوا معاً كجسد واحد، يجمعهم رباط المحبة. والهدف لكي يركزوا برسالة الخلاص المفرحة إلى كل الشعوب والأمم. وبسبب هذا الإتحاد والتعاون انتشرت رسالة الإنجيل إلى كل أنحاء العالم.

أما الوبار وهو حيوان يشبه الأرناب، فإن حكمته تتجلى بأنه يحفر بيوته في الصخر. أي يعرف المكان الصحيح لبناء بيته. وهذا يشير إلى ضرورة أن نتحلّى بالحكمة بالنسبة لبناء أساس متين لحياتنا. فهل ترانا نبنى حياتنا على أسس واهية خادعة؟ أم على أساس راسخ ثابت؟ إن الإنسان الذي يسلك في طريق الغش والخداع يبني حياته على أسس واهية. وكذلك الطالب الذي يغش في الإمتحان، فهو وإن نجح لكنه لن يحقق النجاح في حياته العملية. وهكذا الطبيب أو المهندس عليهما أن يسلكا بالاستقامة لكي يتفوقا في عملهما.

فإذا كان هذا الأمر ينطبق على حياتنا العملية فهو أيضاً ينطبق على أسس حياتنا الروحية، وعلاقتنا بالله تعالى. ولهذا بعد أن أنهى المخلص المسيح موعظته المشهيرة على الجبل قال للجموع: "فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط. لأنه كان مؤسساً على الصخر.

وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يُشَبَّه برجل جاهل بنى بيته على الرَّمَل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبَّت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط. وكان سقوطه عظيماً." (بشارة متى ٢٤:٧-٢٧)

فماذا قصد المخلص المسيح بأن نبني بيت حياتنا على الصخر؟ إنه أراد القول أن كل من يسمع كلامه أي يؤمن به، ويعمل بحسب هذا الكلام، فإنه يكون قد بنى بيته على الصخر. أجل مستمعي إن الإيمان بالمخلص المسيح هو الأساس المتين المبني على الصخر، والذي يبقى إلى الأبد. أي يكون أساس هذا الإنسان راسخاً، إذ يهبه الله الغفران عن ذنوبه، ويحظى بالحياة الروحية الجديدة والخلود. ويستطيع عندها الصمود أمام عواصف الحياة وتجاربها. أما الذي لا يؤمن بالمخلص المسيح فإنه يكون كمن يبني بيته على الرَّمَل، وسرعان ما يسقط في خضم أمواج الحياة، ويخسر كل شيء.

مستمعي الكريم، هل تعلم أنه من الحكمة أن تبني أساس حياتك على الصخر؟ تعال إذن مؤمناً إلى المخلص المسيح الذي هو الصخرة الحقيقية التي يجب أن نبني نفوسنا عليها. وعندها ستجد الأمان الحقيقي والسلام الكامل في وسط هذا العالم المضطرب.